

نحو رؤية موحدة لبرامج كتاب اللغة العربية
دراسة مقارنة في كتابي القراءة التّونسي والجزائري
"الرّصيد اللّغوي أنموذجا"

فوزية بن صافية

جامعة عنابة

يكاد يجمع أغلب الدارسين والباحثين على أن الكتاب المدرسي وسيلة هامة في العملية التعليميّة، ولهذا يحظى بأهمية بالغة فهو أقوى الوسائل هادئة في إمداد المتعلم بالمعارف والعلوم والخبرات. بل وبناء شخصيته السّوية وتنمية سلوكاته البناء وتنمية مهاراته وقدراته وتفعيل مواهبه الابداعيّة الكامنة.

إن هذه الأهمية تجعل من المهتمّين بالوسط التعليمي التعلّمي وذوي الشأن في ايلائه المزيد من العناية والاهتمام وبالتّأني في اختيار محتواه العلمي واللّغوي. الأمر الذي يتطلب توفر شروط وأسس لابد منها في انتقاء مضامينه حتى يأتي في سياق الطموحات والأهداف المسطرة.

إن اختيار محتوى الكتاب المدرسي -في الحقيقة- مهمّة صعبة وليست عملية سهلة كما يبدو للبعض؛ وبخاصة في الوقت الراهن نظرا لما يشهده حال عصرنا من تحولات عميقة بارزة تجسّدت في التأثيرات التي أحدثتها ولا زالت تحدثها الثورة المعلوماتية والعملقة التكنولوجية من تغييرات جذرية في الثقافة العربية؛ فيتجشّم القائمون على إعداد الكتب المدرسية المصاعب

والتحديات التي تطال العديد من الميادين والمجالات من غزو ثقافي ومعرفي لا مثيل له. بغية تطوير محتويات الكتب المدرسية لمواكبة الرّكب الحضاري الحديث واستيعاب ترسانة المصطلحات والمفاهيم الوافدة.

وتقع مسؤولية اختيار المحتوى التعليمي بما يتضمّنه من ألفاظ وتراكيب على عاتق المربيّ واللساني¹ والبحث عن مدى ملاءمتها لحاجيات المتعلم وميولاته واختلافها باختلاف المرحلة التعليمية.

إلا أن من يتطلع على ما يعتريه الواقع التعليمي يلاحظ تدني مستوى التعبير لدى متعلم اللغة العربية، حيث أضحى المتعلّم في الابتدائي يعجز عن التعبير بلغة عربية سليمة خالية من الأخطاء؛ إذ يشتكي المعلمون والأولياء في هذا القطاع من صعوبة التعبير لدى معظم المتعلمين ومردّ هذا هو ضالة رصيدهم اللغوي، وهو ما تم الوقوف عليه من خلال الإشراف على تقديم دروس دعم في اللغة العربية لمتعلمي المرحلة الابتدائية.

وبناء على ماسبق تبرز أهمية الموضوع الذي تضمن البحث عن فاعلية الكتاب المدرسي في تنمية الرّصيد اللّغوي للمتعلّم، فما مدى مساهمة الكتاب المدرسي في تنمية الرّصيد اللّغوي للمتعلّم ؟ وما طبيعة الرّصيد اللّغوي ؟ وما مدى استثمار الرّصيد اللّغوي المعروض من لدن المتعلم ؟

مع اتخاذ منهاجين بالمقارنة والدّراسة بغية الكشف عن السمات والخصائص المميّزة لكل منهما، والاستفادة من التجربتين في رسم توجه جديد موّحد لبرامج كتاب اللغة العربية.

وعليه سيبقى الهدف الأسمى في هذا البحث هو تدعيم فكرة* توحيد السّلم التعليمي وتوحيد المناهج وخطط الدّراسة والكتب المدرسية بين الدّول العربية، طالما أن الأهداف والتوجّهات التعليمية أضحت اليوم واحدة بين جميع الدّول بفعل التّطورات التي طبعت الدراسات اللّغوية والنّفسية. والمقصود بالرّصيد اللّغوي في هذا البحث : مقدار الألفاظ والتراكيب التي يمتلكها الفرد وتمكّنه من التعبير عن حاجياته.

وعليه سيسهم البحث بـ:

1- تحديد العوامل والأساليب المؤثرة في الرصيد اللغوي.

2- المقارنة بين المنهاجين

1. الرصيد اللغوي والعوامل والأساليب

ما هي العوامل المؤثرة في عملية تنمية الرصيد اللغوي ؟ وما هي الأساليب المساهمة في اكتسابه ؟ أسئلة تطرح في سبيل الكشف عن كل ما من شأنه أن يؤثر في غنى أو فقر الرصيد اللغوي للمتعلم العربي. ولهذا وجب الوقوف على أهم الأسباب والعوامل المؤثرة في تنميته.

1.1 العوامل المؤثرة في تنمية الرصيد اللغوي

يتفاوت الرصيد اللغوي بين المتعلمين من حيث الكيف والكم؛ فهناك من تجده قادرا على التعبير عن أفكاره وآرائه بكل سهولة ويسر وبلغة معبرة في حين هناك من تراه حرجا ومتلعثما إذا ما أراد أن يتكلم، ومنزويا ومعزولا إذا ما تجادل مع غيره لعجزه عن فهمهم أو عن إبداء موقفه.

ويتحكم في زيادة الرصيد اللغوي أو نقصانه جملة من العوامل التي من شأنها أن تؤثر سلبا أو ايجابا في نموه، منها الذاتية ومنها الاجتماعية. فكلما كانت الظروف المحيطة مناسبة وملائمة ساهمت في زيادته واتسعت المقدرة اللغوية للمتعلم والعكس صحيح.

أ - العوامل الذاتية

تتطلب عملية التواصل ضمان سلامة كل من الجهازين الصوتي والعصبي؛ إذ تتوقف عليهما نسبة زيادة أو نقصان الرصيد اللغوي لدى المتعلم، فإذا ما أصيب الجهاز الصوتي بخلل ما فسينجر عنه بالضرورة نقص في المادة التعبيرية، مما يؤدي إلى بتر حلقة التواصل والتفاعل مع الآخرين²؛ ومثال ذلك: الطفل الأصم أو الأكم فكيف يمكن أن يكتسب الأول رصيدا لغويا وقد حرم من الخضوع لأول وأهم مرحلة من مراحل اكتساب اللغة وهي -مرحلة

الاستماع- والشئ نفسه بالنسبة للثاني، الذي لا يستطيع اختبار ما لديه من مادة لغوية وعليه فلن يتمكن من تطويرها وتنميتها.

وبالإضافة إلى هذا يسبب الضعف العقلي اضطرابا في اللغة، ونقصا على مستوى الرصيد اللغوي "فقد أظهرت دراسة كاننج (cannghane 1985) أن انخفاض مستوى القدرة العقلية المعرفية لدى المتخلف عقليا تؤدي إلى التأخر في الحصيلة اللغوية، وتتزايد بتقدم العمر"³.

ب- العوامل الاجتماعية

وتتفرع بدورها إلى مجموعة من العناصر المصغرة وهي كالتالي :

■ الأسرة

وهي المجتمع المصغر الذي ينشأ، ويتربّع الطفل فيه «حيث تؤثر الأسرة في تنظيم الإطار الاجتماعي للعلاقات السائدة بين مختلف العناصر التي تكوّن المجتمع الأكبر وتحدّد شخصية الفرد السوية المنحرفة أو المضطربة»⁴ ومن العوامل التي تخدم مصلحة الطفل: ثقافة الوالدين، فكلما ارتفع المستوى الثقافي للأسرة اتسع الرصيد اللغوي للطفل، فالأهل المثقفون ينقلون بطريقة مباشرة وغير قصدية ما يحملونه من زاد لغوي وخبرة مكتسبة، ومتنوعة المشارب ممّا يساهم في إغناء ذاكرة الطفل بمفردات وألفاظ تمكنه في الأخير التعبير بطلاقة.

ويضاف إلى ثقافة الوالدين عامل تعدّد الأطفال داخل الأسرة الواحدة؛ حيث يصبح الطفل الأكبر في العائلة بمثابة المعلم والمتعلم في آن واحد حيث يقود الحوار الذي يخلق بينهم إلى اتّساع الرصيد اللغوي لديهم⁵.

وتلعب الأسرة دورا توسيعيا؛ فهي تساهم من خلال توجيهها غير المباشر لابنها وتصحيحها لمكتسباته، بحيث يحاول الأهل في كل مرة أن يقوموا أخطاء طفلهم اللغوية كما يقومون بتزويده بكلمات وصيغ وتراكيب مناسبة مما يساهم في تحسين آدائه وزيادة رصيده اللغوي⁶.

ولهذا ينبغي الأخذ بعين الاعتبار العامل النفسي في تعامل الأهل مع الأطفال في مرحلة اكتسابهم للغة؛ إذ عليهم مثلاً تجنب الإصرار على الطفل ودفعه إلى الحديث عنوة حيث يكون ردّ فعله سلبياً، فيرفض التّحاور مما يؤدي إلى إعاقة كل من عملية التواصل وعملية إثراء رصيده اللغوي. وليبحثوا عن السّبل الكفيلة بدفع ابنهم وتحفيزه على الحديث بدل الضغط عليه كمكافأته أو إثارته بالأسئلة المناسبة أو الحديث معه عن طريق لعب بعض الأدوار⁷.

■ البيئة

إذا كانت الأسرة هي المجتمع المصغّر للفرد فإن البيئة هي المجتمع الأكبر الذي يتواصل الإنسان فيه بإنشاء علاقات مع مختلف شرائح المجتمع. وحتى يتمكن الفرد من الحصول على الخبرات والمعارف والمكتسبات تحقيقاً لهدف تنمية اللغة من مفردات وألفاظ وتراكيب التي ربما قد يقلّ ويضيق أفقها. فلا بد من اتساع رقعة اتصاله واختلاطه مع أفراد مجتمعه من اكتساب رصيد لغوي مناسب .

من هنا ونظراً لأثر البيئة في تنمية الرصيد اللغوي للطفل من خلال اكسابه المزيد من المعارف والخبرات إلى جانب تلك التي يستحوذ عليها، اهتم علماء النفس البيئي بالجانب الرئيسي من البيئة وما ينجم عنها من آثار نفسية ايجابية كانت أم سلبية؛ ذلك أن سلوك الفرد يتأثر تبعاً للوسط المكاني الذي يتواجد فيه فالفرد الذي يقطن في المدينة قد تختلف استجابته مقارنة بذلك الذي يعيش في القرية أو منطقة أخرى لأن البيئة الجديدة قد تبدو غريبة على الفرد عموماً والطفل خصوصاً، إذ يشعر فيها بالعجز عن التواصل مع الآخرين والتعامل مع أقرانه لعدم معرفته بهم وعدم درايته بالتعابير، والألفاظ التي يتقنونها خاصة الجديدة منها⁸.

وكمثال على ذلك : لو تم احضار طفل من الصحراء، وطلب منه وصف البحر فإنه لن يتقن وصفها مثل الطفل الذي يقطن في الساحل، نظراً لافتقاره الرصيد اللغوي المناسب.

■ المدرسة

تعد المدرسة أحد أهم العوامل المساعدة على تنمية الرصيد اللغوي للمتعلم حيث تعمل على تكوين فرد متعلم، إذ يتلقى الأطفال على اختلاف أعمارهم العلوم والمعارف في رحابها فيتعلمون القراءة والكتابة وينمون لغتهم ويطوّرون المهارات المتعلقة بها.

ويلتحق الطفل بالمدرسة وهو يمتلك رصيда لغويا يؤهله للتواصل مع أقرانه وبني جنسه ليزداد تدريجيا تبعا لما يتلقاه فيها من قواعد اللغة وأصواتها وصرفها والقراءة وغيرها من العلوم⁹. بفضل ما يكتسبه من جرّاء اختلاطه مع أساتذته، وزملائه الذين يبادلونه أطراف الحوار وأشكاله المختلفة.

لهذا يتوجّب من القائمين على المدرسة السّهر من أجل توفير الجو المناسب للمتعلم حتى يتمكن من النجاح وتحصيل أمثل في الدراسة من خلال اختيارها لأساتذة مؤهلين، وأكفاء إلى اختيار الوسائل والمعدّات التعليمية التي من شأنها أن تعينهم على تقديم أمثل للدروس وحسن اختيار المناهج.

■ وسائل الاعلام والاتصال

يشهد العالم انفجارا علميا وتكنولوجيا لا نظير له تمخض عنه تطور على جميع الأصعدة والمجالات من بينها : الإعلام والاتصال وذلك نظرا للأدوات والأجهزة التي تم اختراعها من مثل : الراديو "المذياع" والتلفاز والهاتف إلى السينما وجهاز تسجيل الصوت والحاسوب وكلها وسائل اتصالية غير مباشرة تساهم بشكل أو بآخر في التأثير على المتعلم وفي سير عملية إغناء وإثراء رصيده اللغوي.

ولا شك أن جهاز التلفزيون يعد من «أهم مستحدثات العصر، وأعظم الاختراعات التي توصل الإنسان إليها في هذا القرن الذي يعد بحق قرن المعجزات العلمية، هذا الاختراع الذي أتاح للبشرية جمعا أن تعيش حياة

العالم بكل ما فيه عن طريق هذا الجهاز وبفضل هذا الاختراع¹⁰، فلا تكاد تجد بيتا يخلو منه، إذ يتوجه إلى مخاطبة أكبر شريحة ممكنة من الأفراد على اختلاف مستويات أعمارهم وثقافتهم، حيث ينقل إليهم الخبرات والمعارف والمعلومات عبر مجموعة من البرامج بعضها تثقيفي وتعليمي والآخر ترفيهي. وعلى هذا الأساس فإن التلفزيون يعتبر من بين أهم الوسائل التي تدخل ضمن نطاق الوسائل التعليمية، لما له من فائدة في تثقيف الطفل الصغير من خلال ما يعرضه من برامج علمية وترفيهية وإرشادية¹¹، إلخ.

إلا أنه رغم المحاسن والمزايا التي يتميز بها فهذا لا يخفي الضرر الذي يخلفه على مستوى اللغة «فالطفل يتعرض لسيل من اللغات الجديدة والغريبة عن لغته، في الوقت الذي لا يدرك الفوارق بين كل واحدة من تلك اللغات، وبالنظر إلى انتباهه الشديد في مثل هذه السن يروح يلتقط من كل لغة كلمات سهلة الحفظ واللفظ، ما يؤلف عنده معجما لغويا خليطيا مشوها»¹². فكثيرا ما ترد الكلمات مشوهة، أو كلمات غريبة أو محدودة الاستعمال والتوظيف. إن مثل هذه الكلمات لا تغنيه في سد حاجياته، وتلبية رغباته في التعبير عن آرائه وأفكاره لذلك ينبغي على الأهل أن يولوا مزيدا من العناية والاهتمام لما يتعرض له الطفل من برامج تثقيفية كانت أم ترفيهية وما تتضمنه من رصيد لغوي، كما ينبغي على المعلمين استغلال فرصة ميل وانجذاب طفل المرحلة الابتدائية بخاصة إلى مشاهدة هذه البرامج وكذا استثمارها في مجال التعليم كتكليف المتعلم بمشاهدة مجريات قصة أو رسوم متحركة في التلفاز والتعبير عنها.

أما الراديو "المذياع" فسيظل يحصد مزيدا من الجماهير التي تعشق الاستماع إليه؛ فضلا عن انتشاره الواسع بين الناس فإنه يعد أرخص وأيسر من بقية الوسائل المعروفة في مجال الإعلام والاتصال. كما أنه يستخدم بصورة حسنة وناجعة في الميدان التربوي¹³. ولاشك أن هناك آثارا يخلفها الراديو في نشر اللغة «فيقول أحد اللغويين العرب وهو: عبد القادر المغربي في هذا الصدد: «إن الراديو أصبح اليوم أعظم تلك الوسائل أثرا في نشر

اللغة : فإن إصغاء الجمهور إليه واهتمامهم بتفهم أخباره وتداول تلك الأخبار بينهم يحكيها بعضهم إلى بعض ويرويها بعضهم عن بعض كل ذلك يجعل صورة كلمات اللغة ترسخ في أذهانهم على الوجه الذي سمعوه : فإن سمعوا الكلمات صوابا حفظوها ورووها صوابا وإلا وعوها وأدوها خطأ¹⁴. لهذا ينبغي الاهتمام بالاختيار الأمثل للطاغم البشري الذي يسهر على إعداد أو إخراج البرامج المتدفقة عن هذا الجهاز، والأهم من ذلك هو نقل ما يقدم بلغة عربية فصيحة جزلة ملائمة لأفراد المجتمع¹⁵.

2.1. أساليب إثراء الرصيد اللغوي

■ الكتاب المدرسي

يعد الكتاب المدرسي من أهم الوسائل المساعدة على تنمية الرصيد اللغوي للمتعلم.

وخاصة في المراحل الأولى وذلك بناء على ما يعرضه من مفردات وصيغ وتراكيب منتقاة بعناية في ضوء الدراسات اللغوية والنفسية.

وعليه ينبغي حسن اختيار المواضيع أو النصوص التي تتناسب مع المستوى العمري للمتعلم؛ فلا تكون أدنى مستوى منه ما يشعره بالاستخفاف بالمادة المعروضة، ولا تفوقه مستوى مما يؤدي إلى عجزه عن فهم واستيعاب هذه النصوص. إضافة إلى ما سبق ينبغي الابتعاد قدر الإمكان عن كل ما هو غامض مبهم سواء على مستوى الكلمات أو التراكيب أو العبارات النادرة الاستعمال والمفاهيم التي لا تزيد إلا عبثاً في التفكير والاستيعاب ما يؤثر على نفسيته كالشعور بالملل واليأس مما يؤدي إلى العزوف عن القراءة وربما يتعدى ذلك إلى الفشل في الدراسة¹⁶.

■ القراءة

نظرا للوظيفة الهامة التي تؤديها القراءة في حياة الفرد والمجتمع، فإنها لقيت انتباه الكثيرين من الباحثين والدارسين، فبعد إجراء العديد من البحوث التربوية تمكن هؤلاء الباحثين من تخلص القراءة من قيود فكرة أنها غاية

حيث كان يعتقد أن الطفل يلتحق بالدراسة ليتعلم حتى يصل إلى مرحلة القدرة على القراءة وهو ما يتعارض مع غاية التربية الحديثة، إذ يذهب الطفل إلى المدرسة فيقرأ ليكتسب مزيداً من المعلومات والأفكار والمفردات والألفاظ. ومن هنا أصبحت القراءة أساس وعماد العملية التعليمية¹⁷.

وتختلف النماذج المكتوبة في مستواها اللغوي بحسب اختلاف ثقافات وأذواق المنشئين وقدراتهم اللغوية، وكذلك بحسب اختلاف الموضوعات والأغراض التي أوجدت من أجلها. ومن جهة أخرى تختلف أساليب القراءة بحسب اختلاف مستوى القارئ وخلفياته الثقافية وأهوائه وميولاته والوقت الذي يخصصه للقراءة. بالإضافة إلى كمية القراءة وطريقة استغلالها كوسيلة لتنمية الرصيد اللغوي، وكلها عوامل تساهم في تنمية الرصيد اللغوي¹⁸.

وكذلك طريقة القراءة فلها فضل كبير في اكتساب المتعلم بمفردات اللغة أيضاً فضلاً عن الأهداف التي تشترك فيها مع بعض أنواع القراءات كالقراءة في المدرسة الابتدائية أو القراءة الوظيفية أو الأساسية مع باقي الأنواع الأخرى كالقراءة الجهرية والصامتة والتشخيصية والاستماع... في تحسين النطق والأداء والفهم. إلا أنها تتميز ببعض الأهداف الخاصة المتمثلة في تزويد المتعلم برصيد لغوي أساسي والذي يتضمن مفردات وألفاظ وظيفية ضرورية يستثمرها المتعلم في حياته^{**}.

■ الاستماع إلى القصص

تعد القصة بحق من أنجح الوسائل المساهمة في إثراء الرصيد اللغوي لما تعرضه من مادة لغوية هامة وفضلاً عن المساعدة التي تقدمها للطفل في استخدام اللفظ السليم وتحسين

النطق ومواجهة الخوف عن طريق المحادثة والارتجال، فإنها تزيد وتثري رصيد المتعلم من خلال اكتسابه لباقة من ألفاظ ومفردات اللغة¹⁹.

ومن الواضح أن الطفل ميال إلى استماع القصص متلهف لقراءتها واستماع مجريات أحداثها والتعرف على أبطالها وشخصياتها، لأن في القصة حركة وحياة تبعث على جذب انتباهه وتجدد نشاطه وحيويته²⁰. فدرس القراءة إذا كان موضوعه قصة أقبل التلاميذ عليه ونشطوا له وانتفعوا بما فيه من أفكار وأساليب ونستطيع أن نشهد ذلك إذا راقبنا هؤلاء التلاميذ في درس القصة وفي درس آخر موضوعه ليس قصة، وكتب القراءة ذات الموضوع الواحد لا تتجح في جذب التلاميذ إلى القراءة الحرة إلا إذا كان موضوعها قصة²¹.

■ اختلاط المتعلمين

ضرورة اختلاط المتعلمين بفئات المتكلمين خاصة ذوي الفصاحة من مثل : العلماء والخطباء والأساتذة ذلك أن «البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل : تارة علما وتعلما وإلقاء وتارة محاكاة وتلقينا بالباشرة. إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا»²². وبناء على ذلك فإن مخالطة المشايخ والعلماء من شأنها أن تزيد في كمال التعليم إغناء رصيد المتعلم.

«كذلك الزيارات والرحلات تساعد الأطفال على اكتساب خبرات مباشرة وخاصة الزيارات للمنطقة المجاورة للمدرسة أو زيارة المخازن والدوائر الرسمية والمكتبات والمطارات كلها تساعد الطفل على الاحتكاك والتفاعل والمحادثة السليمة ومن ثمة تعين الأطفال على التفكير اللغوي السليم. ومجرد حديث الطفل عن الرحلة أو الزيارة فإنه يصفها بشكل قصة أو رواية وربما يدخل بها للخيال ومن ثمة هذا يساعد على انتقاء الكلمات المناسبة لاستخدامها في وصف الأحداث التي شاهدها»²³.

2. المقارنة بين المنهاجين

2.1. تحليل محتوى الكتابين

اقتصر البحث على حصر الرصيد اللغوي في كتب اللغة العربية الموجهة لتعلمي السنة الثانية ابتدائي -تونس والجزائر- وهذا يعني الاكتفاء بكتب

اللغة العربية واستبعاد باقي الأعمال الكتابية. وقد احتوت الكتب المقررة مجموعة من النصوص حيث قدرت بـ :

1- الكتاب الجزائري "لغتي الوظيفية" : 174 نصا.

2- الكتاب التونسي "عيون" : 64 نصا.

وبما أن النصوص تتوزع على محاور أو وحدات وكل محور أو وحدة يعالج قيمة معينة ونظرا إلى أن تحليل رصيد كل النصوص في الكتابين يفوق قدرة أي باحث، فقد تم اختيار عينة من المحاور والوحدات التي تتضمن بدورها مجموعة من النصوص آخذين بعين الاعتبار التقارب

بين محاور ووحدات كل من الكتابين. وعلى هذا الأساس فقد تم اختيار المحاور والوحدات التالية :

المحور	كتاب "لغتي الوظيفية"	الوحدة	كتاب "عيون"
الخامس	جسم الإنسان والصحة.	الثالثة.	مدار الصحة والرّفاء. التّضامن والمواطنة.
السادس	النّقل والمواصلات.	الرّابعة السابعة.	مدار: وسائل الاتّصال العمل والترفيه. مدار: البيئة والمحيط، الثّقافة اكتشاف العالم

وبعد انتهاء من عملية الاختيار تأتي عملية تفريغ رصيد هذه المحاور في جداول ليتم بعد ذلك جرد الرصيد اللغوي وتصنيفه والغرض من ذلك هو التعرف على حجم الرصيد اللغوي المقدّم في كل نص إذا ما كان كافيا لهذه

المرحلة، وما مدى احترام معيار التدرج في عرض الرصيد اللغوي ؟
وجاءت المقارنة بين الكتابين فيما يخص معيار تدرج وكمية الرصيد
اللغوي كالتالي :

مدار الصحة والرفاه التّضامني والمواطنة	محور جسم الإنسان والصّحة	التدرج
- تأرجح في عدد الأسماء . - تدرّج في عدد الأفعال . - تدرّج مع انتقالات مفاجئة في عدد الكلمات .	- تأرجح في عرض الرّصيد اللغوي ككل .	
وسائل الاتّصال العمل والترفيه	محور النّقل والمواصلات	
- تأرجح في عدد الكلمات . - تدرّج في عدد الأفعال . - تدرّج من انتقالات مفاجئة الأسماء .	- تأرجح في عدد الكلمات . - تدرّج في عدد الأسماء . - تدرّج مع انتقالات مفاجئة الأفعال .	

يبدو أنه لم يراع مبدأ التدرج وكذا اختيار العدد المناسب من الرصيد (كلمات وأسماء وأفعال) في كل نص من نصوص المحور؛ إذ يلاحظ تفاوت بين الكتابين "لغتي الوظيفية" و"عيون" في كلا المحورين ولعلّ هذا عائد إلى أنه لا توجد دراسات علمية ميدانية تحدد العدد المناسب الذي ينبغي أن يكتسبه المتعلم وطريقة استعماله. وعليه يتوقف الأمر على المؤلفين في تحديد المقدار المراد تعليمه للمتعلم انطلاقاً من خبراتهم الذاتية أو تقديراتهم الشخصية أو الاستفادة من بعض المشاريع المنجزة سابقاً.

2.2. مرحلة المعاينة الميدانية

وتتدرج أهميتها في إجابتها على الأسئلة المطروحة سابقا وتتأسس هذه المرحلة على عنصرين رئيسين هما :

1- تتعلق بمعاينة المتعلمين داخل الفصول الدراسية؛ وذلك من خلال تدريس وتسجيل بعض دروس العينة المختارة بغية تدعيم فكرة المقارنة والوقوف على نتائج ما تظهره المعاينة الميدانية لواقع العملية التعليمية وبالتالي الانطلاق من الواقع الملموس.

2- تحليل الاختبارات المنجزة والغرض من ذلك هو معرفة التطور الحاصل لدى المتعلمين قبل وبعد المنهاج.

وعليه تسعى الدراسة إلى المقارنة بين العينة التجريبية والعينة الضابطة من أجل الوقوف على مواطن الضعف والقوة في كل منهما ومعرفة الظروف المتحكمة فيها، فهل تعود إلى أهداف المنهاج ؟ أم إلى طبيعة وطريقة عرض المادة في الكتاب المدرسي ؟

3- وصف العينة : ولأجل الإحاطة بالأسئلة المطروحة آنفا اقتضى الأمر إجراء تجربة في مؤسسة ابتدائية فاختيرت السنة الثانية للمدرسة الابتدائية "شلالى محمد" بولاية عنابة -عينة.

4- الاجراءات المتبعة:

أ- إجراء اختبار تشخيصي على العينة بغية الكشف عن المستوى اللغوي للمتعلمين والرصيد اللغوي المكتسب خصوصا.

ب- تقسيم عينة البحث إلى مجموعتين متكافئتين واختيرت مجموعة لتكون العينة التجريبية والتي سيطبق عليها المتغير (المنهاج التونسي) فيما تخضع العينة الضابطة لتدريس النموذج الرسمي (المنهاج الجزائري).

ج- إجراء وتسجيل بعض الدروس المحددة مسبقا والتابعة للمحاور المختارة وهذا بعد إجراء بعض اللقاءات التربوية المتكررة بغية التعرف على المنهجية المتبعة في تقديم الدروس من طرف بعض الأساتذة.

د- إجراء اختبار تحصيلي في موضوع البحث على العينة بمراعاة نفس الأسئلة المطروحة سابقا بهدف الكشف عن مدى التطور في تحصيل المتعلمين.

كما تطلب إنجاز التجربة فحص الفرضيات التالية :

■ وجود فروق دالة بين نتائج العينة التجريبية التي خضعت للمتغير المستقل في الدراسة وبين نتائج العينة الضابطة التي بقيت خاضعة للتدريس بالمنهاج الرسمي.

■ التطور في اكتساب الرصيد اللغوي متوقف على :

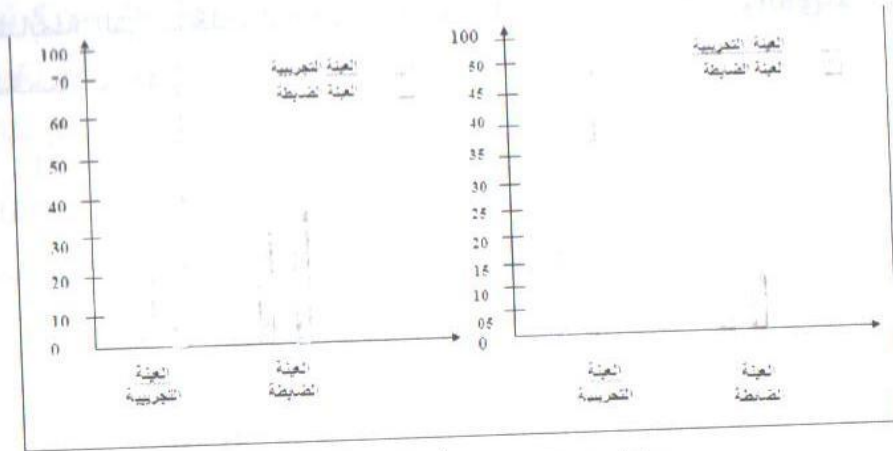
- تباين أهداف المنهاجين.

- طبيعة المادة التعليمية وطريقة عرضها.

■ نسبة استفادة متعلمي العينة (التجريبية والضابطة) من الرصيد المعروض في الكتاب :

وتؤشر بيانات الجدول التالي النسب المحصّل عليها :

النقل والمواصلات			الصحة			العينة التجريبية
الرصيد البعدي	الرصيد المعروض	الرصيد القبلي	الرصيد البعدي	الرصيد المعروض	الرصيد القبلي	
72.41 %	100 %	25.64 %	50 %	100 %	16.66 %	
39.47 %	100 %	38.70 %	12.82 %	100 %	0 %	العينة الضابطة



رسم بياني لنسبة استفاضة متعلّمي العينة (التجريبية والضائبة) من الرصيد المعروض في الكتاب

تدل الأعمدة البيانية الخاصة بمحوري الصحة على وجود تطور في رصيد متعلم العينتتين وإن كانت نتائج متعلمي العينة الضائبة ذات مستوى متدني مقارنة بنتائج العينة التجريبية. حيث سجّل متعلموا العينة الضائبة في محور الصحة تطورا ضئيلا، فقد انتقل الرصيد من 0% إلى 12.22% وإن كان هذا التحسّن مقبولا إلا أنه رغم ذلك لا يزال غير كاف مقارنة بما تدل عليه نتائج العينة التجريبية حيث سجلت ارتفاعا من 16.6% إلى 50% أين قدرت استفادتهم من الرصيد المعروض في المنهاج بالنصف.

أما بالنسبة لنتائج العينة الضائبة في محور النقل والمواصلات فقد ارتفعت هي الأخرى فبعد أن كانت تقدر ب 38.70% أصبحت 39.47% وهي أقل نسبة من النتائج المحققة في محور الصحة.

في حين تطورت النتائج لدى العينة التجريبية حيث ارتفعت من 25.64% إلى 72.41% وهي أكبر نسبة تسجّل ارتفاعا مستمرا في مستوى اكتساب الرصيد الجديد. لتتخذ بذلك مسارا تصاعديا يقود إلى تحقيق الغرض المطلوب والهدف المنشود وهو الوصول بالمتعلم إلى التعبير بيسر واسترسال من خلال إكسابه رصيد يتلاءم وحاجياته التواصلية على خلاف العينة

الضابطة التي سجّلت ارتفاعا لكن بشكل تصاعدي بطيء والذي لا يتواءم والخصائص المميزة لهذه المرحلة التي يزداد رصيدها اللغوي بشكل هائل.

وهذا ما يؤكّد صحة الفرضية الأولى من الدراسة والقائلة بوجود فروق دالة بين العينة التجريبية التي خضعت للتدريس وفق المنهاج التونسي والعينة الضابطة التي بقيت خاضعة للنموذج الجزائري. فما سبب هذه الفروقات؟ فهل يعود إلى تباين الأهداف؟

يهدف المنهاجين إلى الوصول بمتعلم هذه المرحلة إلى التعبير عن أفكاره ومشاعره وميولاته²⁴.

وهو ما يعني بطلان صحة الفرضية القائلة بأن الفروقات مردّها تباين الأهداف.

فإذا كانت الأهداف موحّدة إذن فهل تعتبر المنهجية المتبعة في تجسيد هذه الأهداف سبب هذا الاختلاف؟

اعتمد كل من المنهاجين منهجية المقاربة بالكفاءات والمقاربة النصية كطريقة تربوية، فإذا كان المنطلق واحد فلا يمكن أن يعود إليها الاختلاف إلا إذا كان هناك هوة بين ما هو نظري وما هو إجرائي عملي.

إن اعتماد المقاربة النصية كطريقة تربوية يعني اعتبار النص المنطلق الأساسي في تدريس المواد اللغوية وكذا ترويج رصيد لغوي للمتعلم وأيضا اعتباره الفضاء الذي يمارس في ضوءه المتعلم التعبير الشفوي.

وبناء عليه فإن أي ضعف أو عجز في الرصيد اللغوي يعود بدرجة أولى إلى النص، ولعل هذا ما يفسر ضعف نتائج العينة الضابطة. إن المتأمل للنصوص المختارة في المنهاج الجزائري يلاحظ أنها نصوص متنوعة وطويلة وهنا يسجل أول خلل في المنهاج الجزائري والمتمثل في عدم التقيد بما تم التصريح به في وثيقة المنهاج من اختيار لنصوص قصيرة ذات طابع قصصي²⁵.

بالإضافة إلى ما سبق يلاحظ أن النصوص تروج لمعرفة أكثر من كونها تروج لرصيد لغوي حيث تهتم بإعطاء معلومات عامة ثقافية تصلح أن تكون نصوص مطالعة حرة على حساب ترويج رصيد لغوي، كما أنها لم تنتق بناء على دراسات ميدانية مما جعلها بعيدة عن اهتمامات المتعلم وميولاته، فينبغي أن تكون النصوص المنتقاة في المستوى اللغوي للمتعلم وفي مستوى اهتماماته؛ بحيث تتضمن ما يفتقده من رصيد ولا تقدم له رصيда ربما لا يستخدمه أو قد يستخدمه في مرحلة لاحقة أو يمكن أن يكتسبه من جراء المطالعة الحرة. وهذا ما غاب عند اختيار نصوص المنهاج الجزائري بدليل ما ورد في محور "الصحة وجسم الإنسان" أن متعلم العينة الضابطة يجهل أبسط المفردات والتعابير التي تنتمي إلى قطاع الصحة مثل : الممرضة، التلقيح، طبيب الأسنان، قاعة معاينة.... الخ بالإضافة إلى عدم تمكنه من التعبير عن حالته أثناء الإصابة بالمرض.

فمن الأولى أن تتضمن النصوص هذا الرصيد المفقود عند المتعلم وتعمل على تزويده به حتى يستطيع التواصل بسهولة.

وفي المقابل يتضمن المنهاج التونسي نصوصا ذات طابع قصصي في مجملها على خلاف المنهاج الجزائري، وهو ما يتناسب وخصائص المرحلة؛ حيث يميل المتعلم في هذا السن إلى حب سماع القصص وذلك بما تتضمنه من أحداث مشوقة وطرائف غريبة تساهم في تنمية خياله. وتبعث في نفسه الحماس وتخلق له الرغبة التي قد لا توفرها النصوص ذات الموضوعات العادية، كما تعد القصة من أهم وسائل إثراء الرصيد اللغوي وهذا ما ساهم في استفادة متعلم العينة التجريبية من الرصيد المعروض فيها حيث لوحظ إقبال كبير أثناء تقديم درس القراءة ورغبة في المشاركة كما أن المتعلم كان في كل مرة لا يستطيع الإجابة عن الأسئلة كان يكفي أن يتذكر عنوان النص وأحداث القصة والرصيد الموظف فيها حتى يستطيع بعدها تقديم الإجابة التي تتوافق مع السياق وذلك عندما يواجه وضعية مشابهة لما تعرض له في القصة.

يتّضح في ذات السياق أن القائمين على إعداد المنهاج التونسي قد قاموا باختيار النصوص ووضع الرصيد بناء على دراسات ميدانية وهذا ما كشفت عنه وجود بعض المفردات والعبارات المتداولة في المجتمع التونسي مثل: على سلامتك، حقيبة الأدباش... إلخ.

وعليه اختيرت النصوص بناء على الحاجيات اللغوية لمتعلم هذه المرحلة مراعين في ذلك الخصائص الفنية واللغوية التي من شأنها أن تشجع المتعلم على الإبداع وتذوق جمالية العبارة واللغة وهو ما تطرقت إليه أهداف المنهاج.

يتضح مما سبق عرضه أن أهم ما يميز المنهاج التونسي هو التزام القائمين على إعداده باختيار نصوص تتضمن رصيда لغويا يساهم في تحقيق الهدف المصرّح به وهو الوصول بالمتعلم للتمكن من التعبير.

وهذا ما جعله يحقق نتائج ايجابية مقارنة بالمنهاج الجزائري. ما يؤكد صحة الفرضية القائلة بأن التباين مرده طبيعة المادة التعليمية وطريقة عرضها في الكتاب المدرسي.

وعليه فقد أفضى البحث على :

- غياب معيار التدرج في عرض الرصيد اللغوي بالنسبة إلى المنهاجين.
- غياب تحديد التوجّه اللغوي بالنسبة للمنهاج الجزائري على خلاف المنهاج التونسي
- غياب التنسيق وعدم الالتزام بما هو نظري مصرّح به فيما يخص المنهاج الجزائري.
- غياب دراسات ميدانية بالنسبة للمنهاج الجزائري، حيث تضمّن قوائم خاصة بإثراء الرصيد اللغوي للمتعلّم والتي تشكّلت في معظمها من مفردات استمدت من دراسات فترة سابقة مما جعلها بعيدة عن الواقع الاستعمالي للمتعلّم.

- مساهمة ضئيلة للمناهج الجزائري في تزويد المتعلم برصيد لغوي كاف في مقابل المنهاج التونسي.

ولاقتراح برنامج موحّد في كتاب اللغة العربية وفي سبيل تدعيم فكرة توحيد المناهج التعليمية والكتب المدرسية نقترح التالي :

- اعتماد المنهاج الجزائري بتقديم نص مرفق بمجموعة من الأسئلة التي تدفع المتعلم إلى التفكير والتعبير باللغة وتجنب عرض المادة بشكل مكثف كما هو معتمد فيه؛ حيث يقدم النص مرفقا بأسئلة وشرح كلمات ودروس قواعد وصيغ، والتي يمكن أن يكتسبها المتعلم بشكل ضمني لأن هذه المنهجية من شأنها أن تبعث الملل وثقل كاهل المتعلم وتجعله عاجزا عن التقبّل كما تقلل من قدرته على الاستيعاب.

- اختيار نصوص ذات نمط قصصي كما هو معمول به في المنهاج التونسي؛ حيث أثبتت التجربة نجاعتها وفعاليتها في اكتساب المتعلم لرصيد لغوي نظرا لملاءمتها وخصائص المرحلة المتأولة.

- محاكاة المنهاج التونسي لنظيره الجزائري فيما يخص اعتماد مسارد وقوائم للرصيد اللغوي في نهاية كل محور. مع حسن اختياره وضرورة إرفاقه بتدريبات حيث أثبتت التجربة فعالية ونجاعة التدريبات في ترسيخ الرصيد اللغوي في ذهن المتعلم وكذا إرفاقه بقاموس جيبى يشرح مفردات هذا المسرد.

■ توصيات

الالتزام بتطبيق المنهجية المتوخاة والتقيد بآلياتها وطريقتها في التعامل مع اختيار المادة اللغوية واختيار الموضوعات... إلخ.

تعديل المنهاج والعمل على تدارك النقائص الموجودة كاستبدال قوائم الرصيد اللغوي المعروض بأخرى تتناسب مع حاجات المتعلم اللغوية وكذا تخفيف وتقليص المادة المعروضة.

الاستفادة من نتائج البحوث والدراسات الجامعية المنجزة في التخصص
وفي مجامع اللغة العربية.

القيام بدراسات ميدانية مستمرة من أجل حصر قوائم المفردات الشائعة
وإدراجها في المسارد.

توسيع دائرة معدي المناهج وعدم الاقتصار على فئة بعينها وإقحام ذوي
الشأن مع السعي لإيجاد سبل للتنسيق بين واضعي المنهاج في الدول العربية
وتبادل الخبرات.

.....الإحالات.....

- 1- عبد الرحمن الحاج صالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث (4) : أثر اللسانيات في
النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية (1)، العدد 4، مجلة في علم اللسان البشري
جامعة الجزائر، معهد العلوم اللسانية والصوتية، 1973-1974، ص : 47.
- *- وهي من الأهداف التي تسعى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم Alesco تحقيقها،
انظر ميثاق الوحدة الوطنية، بغداد 16 شوال 1383-29 فبراير، شباط، 1964، الألسكو.
- 2- بولا خريقة، موسوعة الأسرة الحديثة ، بيسيكوبيديا تربوية-نفسية-اجتماعية من الحمل
حتى البلوغ، نوبيليس-الأشرفية ، لبنان، ط 1، ج 1، 2001، ص : 103
- 3- زينب محمد شقير، اضطرابات اللغة والتواصل، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ط 2 ،
2011، ص : 164
- 4- بولا خريقة، موسوعة الأسرة الحديثة، بيسيكوبيديا تربوية -نفسية-اجتماعية من الحمل
حتى البلوغ، ج 1، ص : 79.
- 5- المرجع نفسه، ج 5، ص : 104-105.
- 6- المرجع نفسه، ج 9، ص : 137.
- 7- المرجع السابق، بولا خريقة، ج 5، ص : 141
- 8- للاستزادة انظر بولا خريقة، موسوعة الأسرة الحديثة، بيسيكوبيديا تربوية -نفسية-

- اجتماعية من الحمل حتى البلوغ، ج 5، وعبد الستار ابراهيم، الإنسان وعلم النفس، عالم المعرفة، مجلس الثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- 9- بولا خريقة، موسوعة الأسرة الحديثة، بسيكوبيديا تربوية-نفسية-اجتماعية من الحمل حتى البلوغ، ص : 77-78.
- 10- محمد وطاس، أهمية الوسائل التعليمية في عملية التعلم عامة وفي تعليم اللغة العربية للأجانب خاصة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص : 108.
- 11- المرجع نفسه، ص : 109.
- 12- بولا خريقة، موسوعة الأسرة الحديثة، بسيكوبيديا تربوية-نفسية-اجتماعية من الحمل حتى البلوغ، ج 14، ص : 36-37.
- 13- مجدي عزيز ابراهيم، موسوعة التدريس، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان ج 5، 2004 ص : 2115.
- 14- أحمد محمد معتوق، الحصيلة اللغوية، أهميتها-مصادرها-وسائل تنميتها، عالم المعرفة، مجلس الثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص : 77 نقلا عن عبد القادر المغربي، الراديو وأثره في نشر اللغة، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، المجلس السادس عشر، ج 1، 1941، ص : 23.
- 15- المرجع نفسه، ص : 78.
- 16- أحمد محمد معتوق، الحصيلة اللغوية، أهميتها-مصادرها-وسائل تنميتها، ص : 150.
- 17- عبد العليم إبراهيم، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، دارالمعارف، القاهرة، ص : 59.
- 18- أحمد محمد معتوق، الحصيلة اللغوية، أهميتها - مصادرها - وسائل تنميتها، ص : 105 - 106.
- ** - للاستزادة انظر، سمير استيتية، علم اللغة التعليمي، وأحمد افريقي، التواصل التربوي واللغوي (دراسة تحليلية) وعبد العليم ابراهيم، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية.
- 19- سميح أبو مغلي وآخرون، طرق تعليم القراءة للكتابة للأطفال، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ص : 59.
- 20- عبد العليم ابراهيم، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، ص : 371.
- 21- المرجع نفسه، ص : 375-376.
- 22- عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط 1، 2004 ص : 614.

- 23- أحمد محمد معتوق، الحصيلة اللغوية، أهميتها-مصادرها-وسائل تنميتها، ص : 68.
- 24- مديرية التعليم الأساسي، اللجنة الوطنية للمناهج، السنة الثانية من التعليم الابتدائي الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، جوان 2001، ص : 10 - 11 ووزارة التربية والتكوين، الإدارة العامة للبرامج والتطوير المستمر، البرامج الرسمية للدرجة الأولى من التعليم الأساسي، تونس 2001 ص : 17، 13.
- 25- الوثيقة المرافقة لمنهاج اللغة العربية للسنة الثانية من التعليم الابتدائي، وزارة التربية الوطنية، مديرية التعليم الأساسي، اللجنة الوطنية للمناهج 2011-2012، ص : 11-12-13.

